الباب الثالث

وجوه ادب القرآن

الفصل الاول

وجوه ادب القرآن

من حيث اسلوبه

أراد الباحث ان يبحث عن الاسلوب قبل كل شيء. الاسلوب جمع الاساليب، الاسلوب لغة هو الطريقة او الفن من القول او العمل[1]، واما الاسلوب اصطلاحا فهو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامية و اختيار الفاظه اي هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصيده من كلامه، اوهو طابع الكلام او فنه الذي

---

١. لويس معلوف "المنجد" ص: ٣٤٣

انفرد به المتكلم[1] وعند احمد الهاشمي هو المعنى الموضوع في الفاظه مؤلفة على سورة تكون اقرب لنيل الغرض المقصود من كلامه وافعاله في نفوس السامعية.[2]

من هذه التعريفات يستطيع الباحث ان يلخصها وهي الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تاليف كلامه واختيار الفاظه لنيل الغرض المقصود

والاسلوب يختلف باختلاف الاديب فلكل اديب طريقته في تعبير تبعا لموهبته، وثقافته، و تذوق اللغة، وطريقتها المختلفة في الأداء وما يسلزمه من طريقة خاصة في بناء الجمل والعبارات واستخدام الحقيقة والخيال وكذلك يختلف باختلاف العصر، وخصائص فنية تشيع في اساليب ادباء،

---

١. محمد عبد العظيم الزرقاني "مناهل العرفان في علوم القران" ص: ٣٠٢

٢. احمد الهاشمي "جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع" ص: ٤٣-٤٢

ووجوه ادب القران منها الاسلوب القرانى

ومعنى اسلوب القران هو طريقته التى انفرد بها

فى تاليف كلامه و اختيار الفاظه ، ولا عرابة ان

يكون للقران الكريم اسلوب خاص به ، فان لكل

كلام الهى او بشرى اسلوبه الخاص به . و اساليب

المتكلمين وطرائقهم فى عرض كلامهم من شعر او نثر ،

تتعدد اشخاصهم ، بل تتعدد فى الشخص الواحد

بتعدد الموضوعات التى يتناولها ، والفنون التى

يعالجها .

وقد جاء القران بذلك اسلوب الرائع الخلاب ،

الذى بهر العرب برونقه ، وجماله ، وعذوبته

وحلاوته ، وقد كانت فيه من الخصائص العليا ، حتى

لا يقدر العرب المشهورون بفصاحتهم و ارباب

البلاغة على القيام باتيان سورة من مثله

لأن له مزايا وخصائصا خاصة التى لا توجد

فى ألسنة البشرية ، وان الخصائص التى امتاز بها اسلوب القرآن ، والمزايا التى توافرت فيه حتى جعلت له طابعا معجزا فى لغته بعد ان طال بهم الطاف وبعد ان دميت اقدامهم ، وحفيت اقلامهم لم يزيدوا الى ان قدموا اليناقلك من كثرة وفطرة من بحر معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء

وخصائص أسلوب القرآن منها :

١. مسحة القرآن اللفظية ، التى تتجلّى فى نظامه الصوتى ، وجماله اللغوى
٢. ارضاءه العامه و الخاصة ، بمعنى أن الجميع يعيشون بجلاله ويشعرون بروعته
٣. ارضاءه العقل و العاطفة معا ، فالقرآن يخاطب العقل والقلب ، ويجمع الحق و الجمال معا

٤. جوده سبك القرآن و احكام سردة، فكانه سبيكة واحدة تلعب بالعقل وتأخذ بالابصار

٥. بروعته فى تصريف القول، وتفننه فى ضروب الكلام، بمعنى أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى، وطرق مختلفة، وكلها رائعة فائقة

٦. جمع القرآن بين الاجمال والبيان

٧. الوفاء بالمعنى مع القصد فى اللفظ[1]

---

١. محمد على الصابونى، التبيان فى علوم القرآن" ص: ١٠٩

الفصل الثانى

وجوه ادب القران
من حيث إختيار اللفظ

قبل أن ندخل فى البحث يحسن ان اشير الى ان معنى الحقيقى (Denotative) ومعنى المعنى المجازى (Konotative)

معنى الحقيقى هو الشيئ الثابتُ قطعًا ويقينا، ويقابلها المجاز وهو فَعِيلة، من حق الشيئ اذا ثبت، بمعنى فاعلة اى حقيق وفى الاصطلاح: هى الكلمة المستعملةُ فيما وضعت له، مطابقا للواقع[1] اى اللفظ الذى استعمِلَ لما وُضِع له أصلا، وأن القرآن كتاب الله يشمل على الحقائق وهى كل

---

1. محمد التونجى، المعجم المفصل فى الادب، دار الكتب العلمية بيروت، ص: ٣٧٢

كلام بقيَ على موضوعة كالآيات التي لم يتجوز فيها، وهي الايات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتنزيه، والداعية إلى أسمائه وصفاته[1]، كقوله تعالى :

" أمّن خَلَق السموات والارض ... " الاية[2]

" امّن يَهدِيكم في ظلماتِ البَرِّ والبحر "[3]

" مَن يُحيِي العظام وهي رميم "[4]

" هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة "[5]

ومعنى المجاز، لغة من جازَ الشيءَ يجوزه، اذا تعدّاه، واصطلاحا : اسم لما أُريدَ به غير ما وُضع له لمناسبة بينهما، كتسمية الشجاعة اسدا، وهو مَفعَل بمعنى فاعِل، كالمولى بمعنى الوالي، سُمي به لأنه متعد من محلّ الحقيقية الى محلِّ المجاز، شريطةَ وجود قرينة مانعة من ارادة المعنى

---

١. الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص : ٣٥٤

٢. سورة النمل، الاية : ٦٠

٣. سورة النمل، الاية : ٦٣

٤. سورة يس، الاية : ٧٨

٥. سورة الحشر، الاية : ٢٢

الأصل. فالقرينةَ إذاً هي التي تصرف الذهنَ عن المعنى الوضعي إلى معنى المجازي[1]. كقوله تعالى :

" واذا تُليَت عليهم آياتُه زادتهم ايمانا "

نسب الزيادة التي هي فعل الله الى الآيات لكونها سببا منها.

وقوله " يَنزِعُ عنهما لِباسَهما "

نسب النزع الذي هو فعل الله الى إبليس لعنة الله لأن سَبَبَه أكلَ الشجرة، وسبب اكلهما وسوسته ومقاسمته اياهما إنه لهما لمن الصالحين

وقوله " إنما يأكلون في بطونهم نارا "

لأستلزم اموال اليتامى اياها.

وقوله " فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة "

اى العناد المستلزم للنار

---

١. محمد التونجي، المرجع السابق، ص : ٧٦٠

٢. سورة الأنفال، الاية : ٢

٣. سورة الأعراف، الاية : ٢٧

٤. سورة النساء، الاية : ١٠

٥. سورة البقرة، الاية : ٢٤

وبعد، ان الاعتناء في اختيار اللفظ هو اختيار انسب اللفظ بقدر المستطاع لاعتبار الافكار و الآراء، وهو اختيار الالفاظ الحقيقة من الالفاظ المجازية، و اختيار اوضح الالفاظ من الالفاظ الواضحة، و اختيار الالفاظ الدقيقة من الالفاظ الخسِنَة.

قوله تعالى:

و الضحى	واليل اذا سجى
ما ودعك ربك وما قلى	وللاخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى	الم يجدك يتيما فاوى
ووجدك ضالا فهدى	ووجدك عائلا فاغنى
واما بنعمة ربك فحدث[1]	

تبدأ هذه السورة بالقسم بالواو، والرأى السائد عند الاقدمين، ان هذا القسم القرآن يحمل معنى التعظيم للمقسم به. قال ابن قيم الجوزية: واقسامه - تعالى - ببعض

---

1. سورة الضحى، الاية: 1-11

المخلوقات، دليل على أنها من عظيم اياته»[1]

واختيار «الطبري» من هذه الاقوال في الضحى: أنه النهار، لأنه ضوء الشمس الظاهرة، واختار في سجا الليل: سكن السكون باهله، والزمخشري، يقول في الضحى: هو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها، وعند ابن حيان: سجا الليل ادبر، وقيل اقبل، وقال الفراء: اظلم وركد وقال ابن الاعرابي: اشتد ظلامه»[2]. واية «اذا سجى» قد جاء مقيدا في آيات أخرى بقوله تعالى:

«اذا ادبر» المدثر

«اذا عسعس» التكوير

«اذا يسر» الفجر

«اذا يغشى» الليل

«اذا يغشاها» الشمس

---

١. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ص: ٣٤

٢. نفس المرجع، ص: ٣٩

وقال حسين عزيز" ان اختيار لفظ " الضحى " في هذه السورة يعتبر منه معنى السرور و المستقبل المزدهر، السرور و النجاح، ولفظ" اليل "يختار ليوكّد معنى الحزن والصعب، وهذا ظاهر من العبارات التالية، مثل لفظ يتيم ومسكين، ظالم، التى يوكّد بها لفظ " واليل اذا سجى "

واما لفظ " اوى " هدى " اغنى " يوكّد بلفظ " و الضحى " ويختار لفظ " الضحى "و" اليل "ليوكل معنى السرور والصعب ولأن ذلك اوضح وأبين و اخيال[1]

وهذا لأن الفاظ القران سواء كانت مفردة اوجزالة فبنيتها وفخامتها سلامة بحيث تكون مختارة الحروف غير متنافرة، مستقرة فى مكانها بحيث لايصلح فى موضوعها، ولايؤدى معناها واضحا كاملا الا بها، موءتلفة بعضها مع بعض، موسيقية فى ادائها موحيّة فى معناها وائتلاف الالفاظ بعضها مع بعض، بمعنى ان يقرن الغريب

---

١. حسين عزيز . Teori & appresiasi sastra Qur'an ، ص : ١٠

بمثلها والمتداول بمثل رعاية لحسن الجوار

والمثال قوله تعالى :

" قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا "[1]

فانه سبحان الله لما اتى باغرب الفاظ القسم بالنسبة الى اخواتها فان التاء اقل استعمالا وأبعد من افهام العامة، والباء والواو أعرف عند الكافة، وهي أكثر دورانا على الألسنة، واستعمالا في الكلام، أتى سبحانه بأغرب صيغ الافعال التي ترفع الأسماء وتنصب الاخبار بالنسبة إلى اخواتها، فان "كان" وما قاربها اعرف عند الكافة من "تفتأ" وهم "لكان" وما قاربها أكثر استعمالا منهما، وكذلك لفظ "حرضا" اغرب من جميع اخواتها من الفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم ان تجاور كل لفظ بلفظة من جنسها في الغرابة او الاستعمال توخيا لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالفاظها في الوضع وتتناسب

---

1. سورة يوسف، الاية : ٨٥

فى النظم[1] وقوله تعالى :

" وأقسموا بالله جهد أيمانهم "[2]

لما كانت جميع الفاظ هذا الكلام متجاورة ما يشاكلها فى الغرابة و يلائم .

فالقران شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدى به المعنى ليصور به ما حدث او سيحدث أحسن تصوير و ابلغه فانظر الى قوله تعالى :

" و اذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم و يستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم "

فاختياره سبحانه الفعل " ذبح " ليصور ما حدث وضعف عينه للدلالة على كثرة القتلى من أبناء إسرائيل يومئذ ولا نحس بهذا المعنى اذا وضعنا مكانه كلمة يقتلون[3]

---

١. ابن ابى الاصبع المصرى ، بديع القران ، ص : ٧٨

٢. سورة الفاطر ، الاية : ٤٢

٣. خضى محمد شرّيف ، اعجاز القران البيانى بين النظرى والتطبيق ، ص : ٣٢٣

وكذلك نجد القرآن استعمل ألفاظ " فؤاد "
و " اللب " و " القلب " ولكن المتأمل يحس ويشعر أن
هذه الألفاظ مستعملة فى أماكنها التى لو غيرت فيها
لتأثر المعنى بهذا التغيير، فنجد لفظ الفؤاد اذا
استعمل فى القرآن فلا بد وأن يكون مرادا به تلك
الآلة التى منحها الله الانسان ليفكر بها. ولذا كانت
مما سوف يسأل المرء عن مدى انتفاعه بها يوم
القيامة : ،ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسئولا " وقوله " ما كذب الفؤاد ما يرى "
واللب وجمعه الالباب، وهو لم يستعمل فى
القرآن الا جمعا يراد به التفكير الذى هو من عمل تلك
الآلة " لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب "
وقوله " وما يذكر إلا اولو الألباب "
أما القلب : وهو أكثر هذه الالفاظ دورانا
فى القرآن فاذا اطلق فانه يكون المراد به الارادة التى